مجلة حيدر آباد

ISSN No:

مجلة عربية إلكترونية فصلية بحثية محكمة

قسم دراسات العرب

جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند

الهوية والانتماء في رواية «بريد الليل» لهدى بركات

ناصرالدين أنس[1]

الملخص

تتناول هذه المقالة قضية الهوية والانتماء في رواية بريد الليل لهدى بركات، حيث تعكس الرواية معاناة الانسان في زمن الحروب والمنفى والهجرة القسرية، وتصور شخصيات تعيش حالة من الضياع وفقدان العلاقة بالذات وبالمكان. وتعرض الرواية الهوية بوصفها مفهوما هشا وغير ثابت، بينما يظهر الانتماء كحلم مفقود في عالم يسوده العنف والتهميش. وتكمن اهمية هذه الدراسة في انها تتناول رواية معاصرة حظيت باهتمام نقدي واسع، وتعالج موضوعين مركزيين في الادب العربي الحديث هما الهوية والانتماء، لما لهما من ارتباط مباشر بتجارب الاغتراب والاقتلاع التي يعيشها الانسان العربي المعاصر. كما تسهم الدراسة في ابراز البعد الانساني للرواية، والكشف عن قدرتها على تمثيل معاناة الفئات المهمشة والمنفية. اما مشكلة الدراسة فتتمثل في التساؤل عن كيفية تصوير هدى بركات لازمة تفكك الهوية وضياع الانتماء في رواية بريد الليل، وعن دور المنفى والعنف في تعميق هذه الازمة، بالاضافة الى البحث في وظيفة الرسائل والكتابة بوصفها وسيلة لمقاومة النسيان وتعويض الفقد. وقد اعتمدت المقالة على المنهج التحليلي الوصفي من خلال قراءة النص الروائي وتحليل مضامينه ودلالاته الفكرية والانسانية، مع التركيز على بنية الرسائل واللغة السردية وتجربة المنفى.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الانتماء، المنفى، الاغتراب، الهجرة القسرية، الحرب، المهمشون، الرسائل، الكتابة، هدى بركات، بريد الليل

المقدمة

تعد رواية «بريد الليل» للكاتبة اللبنانية هدى بركات من الروايات العربية المعاصرة المهمة التي تعكس معاناة الإنسان في زمن الحروب، والهجرة القسرية، والتشرد. تقوم الرواية على مجموعة من الرسائل

[1] باحث في قسم اللغة العربية، جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدراباد
emanasadany@gmail.com

التي يكتبها أشخاص يعيشون في المنفى أو على هامش المجتمعات، لكن هذه الرسائل لا تصل إلى أصحابها، مما يرمز إلى انقطاع التواصل الإنساني وضياع الصوت الفردي. من خلال هذا الشكل السردي، تطرح هدى بركات قضيتي الهوية والانتماء بوصفهما من أكثر القضايا إلحاحا في الواقع المعاصر.

تعكس الرواية حالة الإنسان الذي فقد وطنه وأمانه، فلم يعد يعرف من هو، ولا إلى أين ينتمي. فالهوية في «بريد الليل» ليست ثابتة، والانتماء لم يعد مضمونا. وتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على صورة الهوية والانتماء في الرواية، مع التركيز على تجربة المنفى، ودور الذاكرة، وأهمية الكتابة بوصفها وسيلة للحفاظ على الذات الإنسانية من الضياع.

الجزء الأول: هدى بركات وحياتها الأدبية

هدى بركات روائية وصحفية لبنانية ولدت في بيروت عام 1952. عاشت طفولتها وشبابها في لبنان خلال فترة الحرب الأهلية، وهو ما ترك أثرا عميقا في رؤيتها للعالم وفي موضوعات كتاباتها. لاحقا انتقلت إلى باريس، حيث عاشت تجربة المنفى، لكنها واصلت الكتابة باللغة العربية، محافظة على ارتباطها الثقافي واللغوي بالعالم العربي.

تتميز أعمال هدى بركات بالتركيز على الإنسان المكسور نفسيا، وعلى الشخصيات التي تعيش العزلة والتهميش، مثل اللاجئين، والمنفيين، والفقراء، وضحايا الحروب. لا تهتم الكاتبة كثيرا بتفاصيل الأحداث أو الحبكات المعقدة، بل تركز على العالم الداخلي للشخصيات، وعلى مشاعر الخوف، والوحدة، والذنب، وفقدان المعنى.

في رواية «بريد الليل»، استخدمت هدى بركات أسلوب الرسائل لتمنح شخصياتها فرصة للبوح والاعتراف. هذه الرسائل تشبه المونولوجات الداخلية، وتكشف أعماق النفس الإنسانية في لحظات الضعف والانكسار. وقد حازت الرواية على الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام 2019، مما يدل على قيمتها الأدبية وأهميتها في المشهد السردي العربي.

الجزء الثاني: الهوية في رواية «بريد الليل»

تصور الهوية في «بريد الليل» على أنها هشة، مهددة، وغير مستقرة. فمعظم الشخصيات في الرواية بلا أسماء واضحة، أو تحمل أسماء غير مؤكدة، وكأنها فقدت علاماتها الأساسية التي تميزها عن غيرها. هذا الغياب في التسمية يعكس حالة الضياع التي يعيشها الإنسان في المنفى، حيث لا يعود معروفا أو معترفا به.

ترتبط الهوية في الرواية ارتباطا وثيقا بالذاكرة، لكن هذه الذاكرة ليست مصدرا للطمأنينة، بل عبئا ثقيلا. فالشخصيات تحمل ماضيا مليئا بالخسارة، والعنف، والذنب، والخيانة. وتظل هذه الذكريات تطاردها، وتمنعها من بناء هوية جديدة مستقرة. وهكذا تتحول الهوية إلى جرح مفتوح، بدل أن تكون مصدر قوة.

كما يظهر ضياع الهوية من خلال الجسد، حيث تصف الرواية أجسادا متعبة، مريضة، أو منهكة من السفر والفقر والخوف. هذا التعب الجسدي يعكس الانكسار النفسي الداخلي، ويؤكد أن العنف لا يدمر المكان فقط، بل يدمر الإنسان من الداخل. فالإنسان في «بريد الليل» يشعر بأنه فقد السيطرة على جسده ومصيره، وبالتالي على هويته.

إضافة إلى ذلك، تعكس اللغة المستخدمة في الرسائل اضطراب الهوية، إذ تتسم بالتقطع، والتشظي، والتردد. فالكلام نفسه يبدو عاجزا عن التعبير الكامل، وكأن اللغة، مثل الهوية، لم تعد قادرة على أداء وظيفتها بشكل طبيعي.

الجزء الثالث: الانتماء في رواية «بريد الليل»

تعرض رواية «بريد الليل» الانتماء بوصفه حلما مفقودا أو أمرا صعب التحقيق. فالشخصيات فقدت انتماءها إلى أوطانها الأصلية بسبب الحروب والاضطرابات، واضطرت إلى الهجرة أو العيش في أماكن لا تشعر فيها بالأمان أو القبول. وهكذا تعيش هذه الشخصيات في حالة من التعليق الدائم، فلا هي تنتمي إلى الماضي، ولا تجد مكانا حقيقيا في الحاضر.

الوطن في الرواية ليس مكانا حنونا، بل ذكرى مؤلمة أو مكانا مستحيل العودة إليه. أما البلدان الجديدة، فتمثل فضاءات باردة، قاسية، لا تعترف بالآخر المختلف. لذلك يفشل الإنسان في بناء علاقة حقيقية مع المكان، ويظل يشعر بالغربة حتى وهو بين الناس.

كما تظهر الرواية انهيار أشكال الانتماء التقليدية، مثل الأسرة والمجتمع. فالعلاقات الإنسانية في «بريد الليل» هشة ومؤقتة، وغالبا ما تقوم على الحاجة أو الخوف، لا على الثقة والاستقرار. وفي ظل هذا الانهيار، لا يجد الإنسان ما ينتمي إليه سوى ألمه الخاص.

أمام هذا الفقد، تصبح الكتابة وسيلة بديلة للانتماء. فالرسائل، رغم أنها لا ترسل، تمنح الشخصيات شعورا مؤقتا بالوجود والمعنى. ومن خلال الكتابة، تحاول الشخصيات أن تؤكد أنها كانت هنا، وأن لها صوتا وتجربة تستحق أن تروى. وهكذا تتحول الرسالة إلى وطن رمزي، وإلى مساحة صغيرة يشعر فيها الإنسان ببعض الانتماء.

الخاتمة

تكشف رواية «بريد الليل» عن عالم فقد فيه الإنسان إحساسه بالهوية والانتماء نتيجة الحروب والمنفى والعنف. تصور هدى بركات شخصيات مكسورة تعيش على هامش العالم، وتحمل جراحا نفسية عميقة. ومع ذلك، لا تخلو الرواية من بصيص أمل، يتمثل في الكتابة بوصفها فعل مقاومة للنسيان والمحو.

تؤكد الرواية أن الهوية لم تعد مرتبطة بالوطن أو الاسم أو المكان، بل بالتجربة الإنسانية نفسها، وبالقدرة على التعبير والاعتراف. أما الانتماء، فلم يعد جماعيا أو مستقرا، بل أصبح فرديا، هشا، ومؤقتا. وبذلك تقدم «بريد الليل» شهادة إنسانية مؤثرة عن الإنسان المعاصر، الذي يكتب كي لا يختفي، وكي يحافظ على أثره في عالم قاس لا يرحم.

قائمة المصادر والمراجع

1. بركات، هدى. بريد الليل. بيروت: دار الاداب، 2017.

2. سعيد، ادوارد. تاملات حول المنفى. ترجمة عربية. بيروت: دار الاداب.

3. اليوسف، عبد الله. ادب المنفى في الرواية العربية المعاصرة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

4. حنفي، حسن. الهوية والاغتراب في الفكر العربي المعاصر. القاهرة: دار التنوير.

5. علوان، فخري صالح. قضايا الرواية العربية الحديثة. عمان: دار الشروق.

6. المسيري، عبد الوهاب. الهوية والحضارة. القاهرة: دار الشروق.

7. Allen, Roger. The Arabic Novel: An Historical and Critical Introduction. Syracuse University Press.

8. Bhabha, Homi K. The Location of Culture. London: Routledge.